

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

وَتَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ١ ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا³. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»⁴.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ حَسَّاسِينَ نُجَاهَ آبَائِنَا، خُصُوصًا جِينَمَا يَكْبُرُونَ فِي السِّنِّ. عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ مِنْ كَسْرِ خَوَاطِرِهِمْ. قَالَ: «رَعِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَعِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَعِمَ أَنْفٌ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»⁵. فَالْإِحْسَانُ الَّذِي تُسَدِّدُهُ لَوَالِدَيْنَا سَيَجْزِينَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَكَذَلِكَ عَفُوقُ الْوَالِدَيْنِ، لَنْ يَبْقَى بِلَا عِقَابٍ فِي الْآخِرَةِ.

إِخْوَتِي! لَا تَوَلُّوهُمْ ظُهُورَكُمْ، وَاجْبُرُوا خَوَاطِرَهُمْ دَائِمًا. رَبِّمَا مَنَعْتَنَا فَنَرَةُ الْجَائِحَةِ هَذِهِ مِنْ زِيَارَتِهِمْ، فَلَا تُهْمَلْ ذَلِكَ الْآنَ. وَانْصِلْ آبَاءَنَا وَأَقَارِبَنَا فِي إِجَارَاتِنَا.

أَسْأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى بِرِّ وَالِدَيْنَا، وَأَنْ يَزُرُقَنَا نَيْلَ رِضَاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَرِضَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



إِنَّ مِمَّا ابْتُلِينَا بِهِ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَأَصْبَحَ يُؤْتَرُ سَلْبًا عَلَى عِلَاقَاتِنَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ؛ مَا يُسَمَّى بِالْفَرْدِيَّةِ. فَقَدْ أَصْبَحَتْ الْفَرْدِيَّةُ الَّتِي تَعْنِي تَقْدِيمَ الْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ عَلَى غَيْرِهَا، أَصْبَحَتْ طَبْعًا لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَرَسَخَتْ الْبُخْلُ فِي شَخْصِيَّةِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ. كَمَا أَضْعَفَتْ رَوْحَ التَّضْحِيَّةِ لَدَى النَّاسِ، وَأَبْعَدَتْهُمْ عَنْ مَكَارِمِ الْوَفَاءِ وَالْإِيثَارِ. وَكَانَتْ مُؤَسَّسَةُ الْأُسْرَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ الْخَلِيَّةُ الْأَوْلِيَّةُ لِأَيِّ مُجْتَمَعٍ، كَانَتْ هَذِهِ الْمُوَسَّسَةُ هِيَ أَكْثَرَ مَنْ تَأَثَّرَتْ مِنْ أَضْرَارِ هَذِهِ التَّلِيَّةِ. إِنَّنَا نَعِيشُ فِي وَفْتٍ ضَعُفَتْ فِيهِ الْعِلَاقَاتُ الْأُسْرِيَّةُ، وَأَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ سَجَنَاءَ أَنْفُسِهِمْ، أَسْرَتْهُمْ الْوَحْدَةُ وَالْفَرْدِيَّةِ. فَقَدْ صَارَ الْإِكْتِنَابُ وَالضَّغْطُ النَّفْسِيُّ بِسَبَبِ الْوَحْدَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَجْتَاخُ مُجْتَمَعَاتِنَا. وَطَرِيقُ التَّغَلُّبِ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ هُوَ أَنْ تَسْتَعِيدَ الْأُسْرَةَ إِعْتِبَارًا هَا وَمَكَانَتَهَا فِي الْمَجْتَمَعِ، وَأَنْ نَرَعَى حُفُوقَ الْأَبْوَيْنِ، الَّذِينَ يُشَكِّلَانِ رُكْنَيْ كُلِّ أُسْرَةٍ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ مِنْ أُبْرَزِ مَزَايَا الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَدُسِّيَّةُ حُفُوقِ الْوَالِدَيْنِ فِيهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ۗ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾¹. فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَوْامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْإِسْلَامِ. وَقَدْ عَدَّ عَفُوقُهُمَا مِنَ الْكَبَائِرِ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» – ثَلَاثًا – قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَفُوقُ الْوَالِدَيْنِ»².

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ بِشَكْلِ لَمْ يَدْعُ بِهِ مَجَالًا لِلشُّكِّ فِي وُجُوبِ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. قَالَ تَبَارَكَ

⁴ سنن الترمذي، كتاب البر، 1899/3
⁵ صحيح مسلم، كتاب البر، 9، 10

¹ سورة لقمان: 14
² صحيح البخاري، كتاب الأدب، 6
³ سورة الإسراء: 23-24